

يعمل فى جراج محترم أو يفتح جراجا هنا يكون قد وصل إلى مستوى المهندس فعلا عقليا وحرفيا وماليا، ولكنهم لا يلقبونه بالمهندس أو الباشمهندس لأن ذلك لا يعنى شيئا لا أحد هنا يعرف الفقر أو لا يرضى به. جامع الزباله هنا ليس انسانا جاهلا أو قذرا أو أميا. إنه يتقاضى اليوم ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ فرنك فى الشهر ويلبس القفاز ولا يمس القمامة بيده وهو يدير ماكينة «الفرم» فى حافلة الزباله وكل شيء يتم بهدوء ونظام ودون ضوضاء، وجامع الزباله ليس فقيرا أنه يسكن شقة محترمة وامراته سيده محترمة وأولاده فى المدرسه.

نحن فى بلادنا نهب مال اليتيم رغم أن القرآن أوصى به مرة بعد أخرى ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم كان يتيما ولكنه لم يشعر طوال طفولته أو صبوته أنه فقير. تبنته أسرته وتولاه جده دون تكلف لأن العرب لم يعرفوا إلى ذلك الحين الفقر أو الظلم أو النهب.

ولكننا عرفنا ذلك بعد الإسلام، لأن نظم الحكم التى عرفناها علمتنا الظلم والقسوة والسرقة، لأن الحاكم الأعلى كان ظالما وقاسيا ولصا، والمصيبة عندنا تأتي دائما من أعلى وعندما يكون السلطان لصا تنتقل السرقة على السلم كله. والوصى على أموال الايتام يشتري الوصاية من السلطان وينهب مال اليتيم أو ينهب باسم اليتيم وأبو المحاسن فى النجوم الزاهر وابن إياس فى بدائع الزهور يعطينا مئات الأمثلة من اللصوص الأوصياء على الأيتام رغم ضخامة العمامة، وأنا شخصا عملت مدرسا لأولاد سيده كانت تسرق مال أولادها. الدرس أتعابه فى الشهر ثلاثة جنيها، ولكنها أرادتني أن أوقع على إيصال بخمسة جنيها، وكانت تقول: ألم تأخذ نقودك؟ إذن فوقع! هذه الايصالات للمجلس الحسبي! لم ادرس هناك الا ذلك الشهر. عرفت بعد ذلك أن زوج هذه السيدة كان يضربها من هنا تعلمت السرقة والظلم وهى تسرق أموال أولادها دون أن تشعر.